



الشيخ الطبيب محمد خير الشعال

22/رمضان/1433

الخميس 9/8/2012

الأربعون النووية

احفظ الله يحفظك (1)

عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا، فَقَالَ: ((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ؛ احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْقَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْقَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَإِنْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)).

[رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح].

وفي رواية غير الترمذي: ((احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللَّهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفَكَ فِي الشَّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبِكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرْجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)).

مات النبي صلى الله عليه وسلم وعمر عبد الله بن عباس ثلاث عشرة سنة.

يقول عبد الله بن عباس: كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا.

فمن المؤكد أن عمر سيدنا عبد الله عندما ركب خلف النبي صلى الله عليه وسلم كان قرابة

اثنتي عشرة أو ثلاث عشرة سنة.

يُكَلِّمُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كَلَاماً يُخَاطَبُ بِهِ كِبَارُ الرِّجَالِ فَيَعْجَبُ لِلْإِنْسَانِ لَا يَفْهَمُ هَذَا الْحَدِيثَ، أَوْ لَا يَعْلَمُ مَعَانِيَهُ.

النبي صلى الله عليه وسلم كان يخاطب ولداً، فهناك مشكلة إما بطريقة تعاملنا مع الأولاد أو بطريقة تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الأولاد، والصحيح أن المشكلة في تعاملنا نحن.

لاحظ أحد العلماء شيئاً في تربيتنا العامة والخاصة للأبناء:

طالب الابتدائي يتخرج من الابتدائي وعمره اثني عشر سنة، ويتخرج من الإعدادي وعمره خمس عشرة سنة، ويتخرج من الثانوي وعمره ثماني عشرة سنة، ويتخرج من الجامعة وعمره اثنين وعشرين سنة، ويمارس الحياة العلمية وعمره خمس وعشرين سنة.

يقول هذا العالم: لاحظت أن الناس يتأخرون في تنشئتهم وتعليمهم فلا يبدأ الإنسان بالإنتاج إلا بعد أن يمضي من عمره النصف باعتبار أن عمره يكون خمسين سنة، إلا أن الله عز وجل يكلف الإنسان بمجرد بلوغه اثني عشرة أو ثلاث عشرة سنة فيصبح مكلفاً كالرجل الذي يبلغ الخمسين أو الستين من العمر.

فيدل هذا الكلام أن هذا الفتى يمكن أن تخاطبه كما تخاطب ابن الستين سنة، بدليل أن الله يخاطبهما بنفس الخطاب.

فقرر وقال: سأضع خطة تدريسية ليتخرج الطالب إلى الحياة العملية وعمره أربع عشرة سنة، فذهب وصنع مدارس لتخرج الطبيب والمهندس والآداب والحقوق... وتعطه الإجازة فيهم وعمره أربع عشرة سنة.

الحقيقة أن هذه المدرسة نجحت تجربتها وتخرج منها دفعات وبعض الخريجين من هؤلاء الطلاب هم الآن مستشارون في مشافي أو محاكم.

هذا الأمر جدير بأن نعود إليه، فتعلم طريقة تعاملنا مع أبنائنا، وننشر هذا الكلام.

الملاحظ بأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعامل مع الناس بهذه الطريقة، وهذا مثال للحديث خطير جداً، والنبي صلى الله عليه وسلم يخاطب به ما نسميه نحن الآن (ولد)؛ لأنه يقول: **(كُنْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)**، فهذا يعني أن هذا الكلام كان خاصاً وليس على الملاء وعبد الله بن عباس يخبرنا بما جرى معه.

يستفيد العلماء من هذا الحديث موقفاً آخر:

طريقة التعليم الموجودة لدينا هي طريقة رتيبة أي تذهب إلى المدرسة فتفتح الكتاب وتفتح الدفتر ثم يأتي المدرس فيلقي درساً.

لكن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفيد من كل مكانٍ ليكون فيه معلماً ومدرساً حتى على ظهر الناقة.

فهذا الحديث قيل من ألف وأربعمئة سنة ومكان الإلقاء لم يكن في المسجد أو قاعة للدراسة، بل كان على ظهر الناقة.

يوجد الآن طرق تعليمية تستخدم في الغرب؛ لأنهم يدرسون هذه المواضيع فتراهم يخرجون في الدروس إلى الحدائق، أو في الحفلات أو في القطار أو في الغابة، وليس في القاعة المدرسية فقط. **((يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ))**، هذا من أجل شد الانتباه. **((احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ))**.

قال العلماء: أي احفظ أوامر الله ونواهيه، محبوباته ومكروهاته، يحفظك الله في ذهنك وعملك. قال الله عز وجل في القرآن الكريم: **﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾** ، [البقرة: 238]، أي حافظ على الصلاة.

قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾** ، [المعارج: 34]. عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: **((اسْتَقِيمُوا تَقْلِحُوا، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَنْ يُحَافِظَ عَلَى الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ))**، [الإمام أحمد والحاكم]. قال الله تعالى: **﴿وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾** ، [المائدة: 89].

قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾** ، [المؤمنون: 5].

لكن المشكلة هي: كيف يحفظ أحدنا أوامر الله؟

1- أن تعلم أوامر الله ونواهيه:

أحدهم لا يعلم ماذا أمر الله تعالى به وما نهي عنه! فكيف يريد أن يحفظ أوامر الله؟! تجد رجلاً لديه عقارات يستثمرها بالآجار منذ ست سنوات ولا يدفع الزكاة، ثم حضر في مجلس علم فسمع أن العقارات المؤجرة عليها زكاة، فقال: والله أنا لم أكن أعلم، فاعلم أن الله لا يعذر على الجهل.

فإن من لا يحفظ الله، فإن الله عز وجل يدعه وشأنه لا يبال بأي وادٍ من أوديتها هلك.

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ((مَنْ جَعَلَ
الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا كَفَاهُ اللَّهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ لَمْ يَبَالِ اللَّهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَةِ الدُّنْيَا
هَلَكَ))، [الحاكم وابن ماجه].

ألا تعجبون من شاب مسلم يحب الله ورسوله ثم يقيم علاقة مع فتاة منذ أربع أو خمس سنوات
فإذا سألته كيف تفعل هذا؟! قال لك: أنوي أن أخطبها، ينوي من أربع أو خمس سنوات ولكن هذه
السنوات الخمس ما حكمها؟ كلها حرام.

أرسل إلي أحدهم بسؤال يقول فيه: عندي صديقة في الجامعة أعجبتُ بها وأعجبتُ بي، وأنا
إنسان ملتزم لا أريد أن أخالف شرع الله غير أنني عزمت على أن أحتفظَها القرآن فهل يجوز ذلك؟
قلت له: لا ليس ممكناً، فانظر كيف يدخل الشيطان إلى الإنسان.

رجل عنده محل صناعة ساعات ولديه أجير يعمل عنده فوَقعت من يده ساعة ثمنها ألفين ليرة
سورية فكسرت فخصم هذا المبلغ من معاشه، هذا الأمر حرام شرعاً، فالأجير الخاص لا يضمن شيئاً
مما أتلف في المحل إذا لم يكن متعدياً أو مقصراً.

لأجل هذه الأمور أطلب من كل أخ أن يحضر مجلس علمٍ على أقل تقدير في الأسبوع حتى
يصبح المسلم مسلماً ولا يبقى الأمر انتساباً.

إن ما نشاهده في الطرقات من تصرفات المسلمين شيء عجيب، فترى فتاة واضعة للحجاب
ومرتدية للثياب الضيقة جداً فكيف اجتمع هذا مع هذا؟!

ترى إنساناً محافظاً على الصلاة لكنه يرتشي جهازاً نهاراً فكيف اجتمع هذا مع هذا؟! فتراه
يبرر خمسين تبريراً.

2- أن تجاهد نفسك في الالتزام بهذه الأوامر:

يقول ابن القيم الجوزية: (الذنوب كلها مرجعها إلى أمرين: إما جهلٌ وإما ظلمٌ).
ما يزال إلى الآن يوجد أمهات يُقْلَن: عندما أموت أعطوا الذهب للبنات، والمتأجِر للصبيان.
الحقيقة أن الله سوف يغضب على هذه الأم وعلى هؤلاء الأولاد الذين نفذوا تلك الوصية؛
لأنهم خالفوا أمر الله عز وجل جهازاً، والله هو من قسم الإرث.

سبب هذا الأمر هو الجهل فلا تعلم تلك الأم أن الله هو من أمر بإعطاء كل ذي حق حقه من الإرث، إلا أن هذا لا يعذر الأم ما دامت في بلدةٍ فيها علمٌ.

أما الأولاد الذين يطبقون هذه الوصية الجائرة فهم أيضاً يرتكبون الحرام، والواجب عليهم أن يجمعوا المتاجر والذهب ثم يوزعوا كما أمر الله.

أما إذا كان الذهب يساوي حصص البنات فلا يوجد مشكلة أن يأخذن القطع الذهبية، أو أن يأخذن القطع الذهبية ويأخذن فوقها تنمة حقهن في الإرث، أو إذا كانت أكثر من حقها أن تدفع الفرق. حفظُ الله عز وجل مطلوب أول شيء أن أعلم ماذا أمر الله وماذا نهى الله عنه في هذه المسألة. بالطرف المقابل يوجد صور قوية جداً بالالتزام بأوامر الله عز وجل:

جاءني أحد الشباب يستشيرني في مشروع دُهِشْتُ من فكرته التي جاء بها والتي يستطيع من خلالها أن يأتي بمال كثير جداً لكنه مهتم أن يعلم هل هذه الطريقة في المعاملة في العمل حلال أم حرام؟ قلت له: سأدرس الأمر، فلما درسته وجدته حراماً ولم أجد طريقة لإزالة هذا الحرام مع أن البحث دام عشرة أيام، فجئت إليه لأقول له أن هذا حرام ولم أجد لك طريقة لتخليصه من الحرام أو جعله حلالاً، ولكن المفاجأة أنه تركه مع أنه مغرٍ جداً.

من الصعب جداً أن تكون بحاجة لمال ثم يعرض عليك هذا المال لكن بالحرام، ثم تقول: لا. صاحب مطبعة جاءه أناس يريدون أن يطبعوا عنده مجلة شهرية تدخل عليه في كل شهر أكثر من خمسين ألف ليرة سورية ربحاً إضافياً غير الذي يأتيها من باقي المنتجات التي تنتج، لكن لما أتوا بأحد الأعداد القديمة فإذا بها تحمل صوراً ساقطة، وأخباراً ماجنة فما الحكم الشرعي؟ الجواب: أن هذه الطباعة تُحرَّم، ولكن كلمة الرفض لا تخرج إلا مع الروح.

أحد الإخوة يملك مشغلاً للخياطة وهو عاطل عن العمل منذ فترة ويعطي العمال من جيبه أتاني فقال لي: جاءني رجل يريد أن يخيط ثياباً نسائية للطريق إلا أنها فاضحة، فما الحكم الشرعي؟ فأجبته: بالحرمة، ولكن مع صعوبة هذه الكلمة أن تخرج منه فقد قالها.

بعد شهرين جاءه رجل فتح معه خط للعراق أخذ من ورائه عمل يمتد معه سنتين ونصف وأصبح يعطي بعض العمل لجواره؛ لأن ورشته لا تتسع.

هناك أناس لديهم انضباط شديد بالشرع، وهناك أناس عندهم تفلت شديد من الشرع، فالمطلوب منا أن نجتهد في أن نعلم أمر الله ونهيه في كل مسألة سأدخل إليها، وفي كل قضية أن ماضٍ باتجاهها؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم يقول لسيدنا ابن عباس ((**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**)).

ما النتيجة إذا قمت بالحفاظ على أوامر الله عز وجل؟

كان بعض العلماء قد جاوز المئة سنة وهو ممتع بقوته وعقله فوثب يوماً وثبةً شديدةً وكأنه شاب، فعوتب في ذلك، فقال: هذه جوارح حفظناها عن المعاصي في الصغر، فحفظها الله تعالى علينا في الكبر.

يقول الله تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزُ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾، [الكهف: 82].

قال المفسرون: ﴿**أَبُوهُمَا صَالِحًا**﴾ كان الجد الثالث أو الرابع، فبصلاح الجد الثالث والرابع حفظ الله تعالى الذرية، ((**احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ**)).

فيحفظ لك ذريتك فضلاً أن يحفظ لك نفسك، وكل سعادة المرء أن يرزق بذرية صالحة، وكل شقاء المرء وحرقة قلبه أن تكون ذريته -نسأل الله السلامة- شريرة. كان أحد الصالحين يكثر من صلاة الليل فمر ابنه يقول له: أراك تكثر من صلاة الليل؟! قال: من أجلك يا ولدي.

قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: (**ما من مؤمن يموت إلا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه**).

قال ابن المنكدر: (**إن الله ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده والدويرات التي حوله فما يزالون في حفظ من الله وستر**)، فالله يحفظ جيرانه كرامة له.

أحد الإخوة المهندسين كان له حسابات في مجموعة بنوك ربوية؛ لأن له تعاملات خارجية فحضر في إحدى المجالس وسمع عن الربا وأحكامه، وسمع عن حرمة التعامل مع البنوك الربوية، فقال لي: كنت أضع مبالغاً بسيطة في تلك البنوك في حال احتجت أن يحول لي أحدهم بعض الأموال،

ولكنني عندما سمعت الدرس والخطبة وبأن هذا الأمر لا يجوز وأن الله يحق الربا ويلعن آكله وموكله قررت أن أغلق هذا الحساب.

كان هذا القرار في يوم الجمعة وتم إغلاق الحسابات في يوم الثلاثاء ريثما أنهيت كل الأعمال ولم أخسر من هذه القضية إلا شيئاً محدوداً جداً.

في يوم الأربعاء كنت أزور صديقاً من أصدقائي فقال لي: أريد أن أشتري عقاراً بمنطقة تجارية لأجعلها مطعماً من فئة الخمس نجوم.

في يوم الخميس كنت أزور شخصاً لديه مطعم معروف في تقديم الطعام على مستوى خمس نجوم من وقت طويل وإذ به يقول لي: أريد أن أبيع هذا المطعم، قلت له: هل أنت متأكد من هذا الكلام؟ قال: نعم أريد أن أبيع، قلت له: لدي زبون، فقال لي: اجلبه، -مع العلم أنني في كل عمري لم أعمل سمساراً-.

ذهبت إلى صديقي الأول وتكلمت معه فقلت له: أما زلت عازماً على الشراء؟ فقال: نعم، فقلت له: وجدت لك مشروعاً يسُرُّكَ، فقال لي: أين؟ فقلت له: كذا وكذا... فقال: أنت متأكد من هذا الكلام.

جمعت الرجلين مع بعضهما البعض وتم البيع في نفس الجلسة، فقال البائع للشاري: إن هذا الرجل الذي جمع بيننا يجب أن نعتبره سمساراً ونعطه حصته من هذا البيع والشراء، فقال له: إذاً أنت المسؤول عن هذا الأمر؛ لأنك أنت الذي ستقبض، فوافق وأخذت من عملية السمسرة خمس وعشرون مليون ليرة سوري.

هل يجوز له شرعاً أن يأخذ هذا المال؟

السمسرة تجوز شرعاً.

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ وَأَبُو الدَّهْمَاءِ قَالَا: أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ فَقَالَ: الْبَدَوِيُّ أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي بِمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَكَانَ فِيهَا حِفْظُ عَنْهُ أَنْ قَالَ: ((إِنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتَّقَاءَ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَّا آتَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ))، [الإمام أحمد والبيهقي].

هذا الشيء مكرر كثيراً لا مرة ولا مرتين ولا خمسة ولا عشرة ليس مع شخص ولا خمسة ولا مليون، لا يوجد أحد بيننا يترك شيئاً لله إلا عوضه الله خيراً منه في دينه ودنياه.

ابن كثير يروي حادثة عجيبة جداً في كتابه **البداية والنهاية** يتكلم فيها عن جيش سيدنا سعد ابن أبي وقاص وقد وصل جيشه إلى شاطئ دجلة فأمر ملك الفرس الناس بالرحيل فجازوا في السفن دجلة، ولما دخل المسلمون لاح لهم القصر الأبيض من المدائن وهو قصر الملك الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سيفتحه الله على أمته، وذلك قريب الصباح، فكان أول من رآه من المسلمين ضرار بن الخطاب، فقال: الله أكبر أبيض كسرى، هذا ما وعدنا الله ورسوله. ونظر الناس إليه فتتابعوا التكبير إلى الصبح.

إلا أن سعد رضي الله عنه لم يجد شيئاً من السفن وتعذر عليه تحصيل شيء منها بالكلية، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة واسود ماؤها، ورمت بالزبد من كثرة الماء بها، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجر عازماً على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان، وإن لم يدركه لذهب بماله. فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة، فحمد الله وأثنى عليه وقال: إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون إليهم معه، وهم يخلصون إليكم إذا شأؤوا، وليس وراءكم شيء تخافون أن تؤتوا منه، وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن تحصركم الدنيا، ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك على الرشد فافعل.

فعند ذلك ندب سعد الناس إلى العبور ويقول: من يبدأ فيحمي لنا الفراض - يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى - ليجوز الناس إليهم آمنين، فانتدب عاصم بن عمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة، فأمر سعد عليهم عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم: من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر فنحمي الفراض من الجانب الآخر؟ فانتدب له ستون من الشجعان المذكورين - والأعاجم وقوف صفوفاً من الجانب الآخر - فتقدم رجل من المسلمين وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة، فقال: أتخافون من هذه النطفة؟ ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ

أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّوجِلاً﴾ ، [آل عمران: 145]، ثم أقحم فرسه فيها واقتحم الناس، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور، وأصحاب الخيل الإناث.

فلما رآهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا: ديواناً ديواناً (يقولون: مجانين مجانين)، ثم قالوا: والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جنّاً.

ثم أرسلوا فرساناً منهم في الماء يلتقون أول المسلمين ليمنعوهم من الخروج من الماء، فأمر عاصم بن عمرو أصحابه أن يشرعوا لهم الرياح ويتوخوا الأعين، ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم، فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء، واتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا وراءهم حتى طردوهم عن الجانب الآخر، ووقفوا على حافة دجلة من الجانب الآخر، ونزل بقية أصحاب عاصم من الستمائة في دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم من الجانب الآخر فقاتلوا مع أصحابهم حتى نفوا الفرس عن ذلك الجانب وكانوا يسمون الكتيبة الأولى كتيبة الأهوال، وأميرها عاصم بن عمرو، والكتيبة الثانية الكتيبة الخرساء وأميرها القعقاع بن عمرو.

وهذا كله وسعد والمسلمون ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس، وسعد واقف على شاطئ دجلة.

ثم نزل سعد ببقية الجيش، وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا: نستعين بالله ونتوكل عليه، حسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس لم يتخلف عنه أحد، فساروا فيها كأنما يسرون على وجه الأرض حتى ملؤوا ما بين الجانبين، فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة، وجعل الناس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض، وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة والأمن، والثوق بأمر الله ووعدته ونصره وتأيدته، ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاص أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، ودعا له، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي سَعْدٍ: ((اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمِيَّتَهُ، وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ، وَحَبِّبْهُ)).

[أبو نعيم].

والمقطوع به أن سعداً دعا لجيشه هذا في هذا اليوم بالسلامة والنصر، وقد رمى بهم في هذا اليم فسددهم الله وسلمهم، فلم يفقد من المسلمين رجل واحد غير أن رجلاً واحداً يقال له غرقدة البارقي، زل عن فرس له شقراء، فأخذ القعقاع بن عمرو بلجامه، وأخذ بيد الرجل حتى عدله على فرسه، وكان من الشجعان، فقال: عجز النساء أن يلدن مثل القعقاع ابن عمرو.

ولم يعد للمسلمين شيء من أمتعتهم غير قدح من خشب لرجل يقال له مالك بن عامر، كانت علاقته رثة فأخذه الموج، فدعا صاحبه الله عز وجل، وقال: اللهم لا تجعلني من بينهم يذهب متاعي، فرده الموج إلى الجانب الذي يقصدونه فأخذه الناس ثم ردوه على صاحبه بعينه، [البداية والنهاية].
يا إخوانا مهما بذلت من جهد وطاقة في حياتك لتنضبط بأوامر الله فإنك سترتاح راحة ما بعدها راحة في الدنيا وفي الآخرة، والعكس بالعكس.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.
والحمد لله رب العالمين